وزارة المعارف

نشاطها في دراسة
مشكلات التربية وتشجيع الثقافة العامة

— ١ —

ظلّت وزارة المعارف عصر ردحاً من الزمن طويلاً تعمل في دائرة لا تتعدّى الحدود التي ترسمها حاجة الحكومة الى موظفين يقومون بالاعمال الكتابية . ولم تتخطّ الوزارة هذه الحدود الاّ في ناحيتين اضطرتها الظروف القاهرة الى تخطيها : الاولى حاجة البلاد الى قضاة ومحامين يقيمون هيكل العدل بعد اعادة تنظيم المحاكم الاهلية فأنشئت مدرسة الحقوق ، والثانية حاجة البلاد الى مهندسين يشرفون على مشروعات الري والصرف وتوزيع مياه النيل فأنشئت مدرسة الهندسة . وفيما عدا هاتين الناحيتين لم يشعر المصريون بأثر للوزارة أثراً في توجيه الثقافة العامة وجهة ما . ولقد نقول يقين ثابت أن هذه السياسة ظلت مهيمنة على وزارة المعارف حتى عام الثورة سنة ١٩١٩ ، فكان هذا حدّاً فاصلاً بين عهدين من حياة وزارة المعارف . فان اتجاه الافكار الى المثل والغايات العليا وتحويل أنظار الامة الى الاستقلال والى الحرية قد نال وزارة المعارف منهُ نصيب وافر تطلعت بعده الميول الى التوسع في شئون التعليم توسّعاً لم تستطع في مدى عشرين سنة بما كانت عليه حال التعليم قبراً بتمامه ، لما استطعنا ان نمثل لهذا النفاس الاّ بحركة الكهرباء مفيضة الى مشي السلحفاة . هذا اذا اعتبرنا النتائج السلبية التي عادت على البلاد من تلك الاستيقاظة الاخيرة

ولقد تدرجت الوزارة في الاخذ بأسباب الاصلاح ، غير ان اعظم وجوه الاصلاح في نظرنا ذلك الميل الجديد الذي بدا أخيراً في أفق وزارة التربية والتعليم من حيث الاتصال بالحركات الثقافية التي تتكوّن خارج جدرانها . وفي الحق ان انبثاث الصلة بين الوزارة وبين أوجه التثقيف التي كان يقوم بها أفراد عاملون في خارج الوزارة كان سبباً رئيساً عاق التثقيف العام زمناً ما . ولا شك في ان الوزارة باتخاذها هذه الخطوة الموفقة سوف تحقق جزءاً كبيراً من مهمتها الشاقة باعتبارها المهيمنة على الثقافة وعلى التربية العامة . ولا شك في ان الخطوات التي اتخذت في هذه السبيل حتى الآن خطوات ثابتة سوف تتبعها خطوات اكثر توفيقاً باذن الله . فان تأسيس مجمع اللغة العربية الملكي والعمل على تأسيس المجمع الادبي وتنشيط الحياة الفكرية تكفي للدلالة على صحة ما نقول

حضرة صاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف وهو خارج من سور الجامعة المصرية حيث ألقى خطبته التي نشرنا مختارات منها في صفحة ٣٣٠

— ٢ —

في الوسع تقسيم اعمال وزارة المعارف في خلال الاشهر الاخيرة، الخاصة بتشجيع الثقافة العامة قسمين عامين أولهما القسم الخاص بالمباريات حثًّا للهمم وحفزاً للقرائح وقد صدر امر الوزير الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، بتنظيم ثلاث مباريات كلّ سنة يمنح الفائزون فيها جوائز مالية نفيسة

١ — المباراة الاولى خاصة باحياء الادب العربي في مصر الاسلامية. وقد جاء في قرار الوزارة: « تعقد وزارة المعارف العمومية كل عام مسابقة في احياء الادب العربي في مصر الاسلامية على ان يقدم كلّ من المتبقين كتاباً لا يقل عن مائتي صفحة يتناول فيه اية ناحية من نواحي هذا الادب في اي عصر من العصور وعلى ان يكون الكتاب مثالاً حسناً للعمل الجدّي والبحث الشخصي والابتكار الذي يفيد العلم فائدة محققة » . وقد عينت الوزارة « مبلغ ٥٠٠ جنيه تمنح منهُ ثلاث جوائز لاحسن الكتب التي تقدم في هذه المسابقة » وآخر موعد لتقديم الرسائل للمباراة الاولى هو أول يونيو سنة ١٩٣٩

٢ — والمباراة الثانية خاصة بالمدرسين عامة في الموضوعات التي تقترح معالجتها وقد جعل عنوانها « مباريات تشجيع الانتاج الفكري » وجاء في قرار الوزارة « بما اننا نرى ضرورة العمل على تشجيع الانتاج الفكري بين المدرسين بمدارس الوزارة والمدارس الحرة من طريق حفزهم الى البحث والتأليف في موضوعات اختصاصهم والموضوعات المتصلة بها بما يؤدي الى تقوية شخصيتهم وزيادة حيوية دروسهم وتكوين ذخيرة من الرسائل العلمية والادبية تدعو الى انشاط التفكير العام اذ ينتفع بها الطلاب والجمهور المثقف على السواء، وتكون بعيدة عن التقيد بالمناهج وان اتصلت بموضوعاتها، وبما ان المدرسين والاساتذة في جميع البلاد المتحضرة مصدر التجديد العلمي والفكري والاصلي في توجيه الحياة الاجتماعية الى أحدث المبادىء وأدق الآراء العلمية والادبية والتربية» قررت الوزارة رصد جوائز سنوية للمدرسين الذين يضعون رسائل علمية وأدبية تمنح في مباريات تعقد كل عام للتأليف بين المدرسين تخصص لها جوائز ثمانٍ قيمة كل منها مائة جنيه تمنح للمتبارين الذين ترى لجان التحكيم ان رسائلهم جديرة بالمنح » وتخصص جائزة لكل من الموضوعات التالية وهي:

الادبية — الاجتماعية — الفلسفية — التاريخية — الجغرافية — الطبيعية — الرياضية — المتصلة بالتربية وعلم النفس — التجارية — الصناعية — الزراعية

وقد اشترطت الوزارة في الرسائل التي يتقدم بها واضعوها لنيل الجائزة ان تكون باللغة العربية وان تكون موضوعاتها بعيدة عن التقيد بالمناهج وان اتصلت بموضوعاتها بعيدة عن طبيعة الكتب المدرسية وان تبدو فيها روح الابتكار في طريقة معالجة الموضوع على الاقل وان يكون لها اتصال بحياة البلاد العلمية والادبية او تاريخها القومي وان تصطبغ بالصبغة القومية في الامثلة

والتطبيق وان يراعى في التأليف التبسيط واستيفاء البحث من جميع أطرافه ، والامانة العلمية في ايراد الآراء والنظريات وان يقنع واضع الرسالة أسلوب البحث الحديث وطرائق النقد الحديثة في ايراد نظرياته ومناقشتها كما يشترط ان تكون الرسائل قد وضعت خصيصاً لهذه المباريات ولم يكن قد سبق طبعها ونشرها . وألا تقل عن مائتي صفحة من القطع المتوسط . وتتولى الوزارة نفقة طبع الرسائل التي تنال الجوائز ونشرها وتحفظ للمؤلف قسطاً من ارباحها

وقررت الوزارة ان «تحدد هذه المباريات في كل عام مدة غايتها ستة اشهر تبتدىء من اول يونيو وتنتهي في آخر نوفمبر يتقدم فيها المتبارون برسائلهم للوزارة غير مطبوعة »

٣ — والمباراة الثالثة خاصة « بالفنانين المصريين لاظهار بعض النواحي القومية في قالب فني » وان « يعرض كل ما يقدم من الآثار الفنية في معرض عام يقام في شهر نوفمبر من كل سنة وتؤلف لجنة محلية من ذوي الاختصاص لفحص ما يقدم من هذه الاعمال الفنية وتقرير الصالح منها للعرض واختيار الاعمال الممتازة لشرائها وضمها الى مقتنيات وزارة المعارف لتكون نواة لمتحف للموضوعات القومية وتوزيع جوائز على المتفوقين » . والمبلغ المرصود للجوائز ٥٠٠ جنيه وهي تتفاوت من ٥ جنيهاً (جائزتان) الى ٣٠ جنيهاً (٤ جوائز) الى ١٥ جنيهاً (ثمان جوائز) الى ٨ جنيهات (١٠ جوائز) الى ٥ جنيهات (ست عشرة جائزة) ولما كانت المذكرة التي وضعها مراقب الفنون الجميلة تعتبر برنامجاً للناحية القومية في النشاط الفني فاننا ننشر ما يلي منها :

لما كانت الفنون الجميلة تسام في نهضات الشعوب بنصيب وافر لا يقل بحال عن نصيب قادة الفكر ودعاة الاصلاح وهداة الوطنية بما لها من أثر في ارهاف الحس وتحريك العواطف بحيث كانت ولا تزال من أبلغ الوسائل وأقدر العوامل على حفز الهمم واذكاء جذوة الحياة في الامم اذا توجهت هذه الوجهة بدافع صدق من اشتراك اصحابها الفنانين مع ابناء وطنهم في البواعث والشعور وبخاصة انها أقرب من غيرها من وسائل التعبير الى مخاطبة الامة جماء بحكم انها تصويرية تمثل للعيان وتقع تحت الحواس الظاهرة

ولما كان فنانو مصر الحديثة حريصين الحرص كله على المساهمة في نهضتها كأسلافهم فنانى مصر القديمة الذين خلدوا على السطح مفاخرها الغراء الباقية على الدهر . تتشرف المراقبة باقتراح ما يأتي :

أولاً — دعوة الفنانين المصريين — وبلادنا في أبان نهضتها واستئناف عزها — الى ان يستقرا لتعزيز الروح القومي بفنهم مع الحرص على رسالة الجمال التي هي رسالتهم . وذلك بمعالجة الموضوعات الآتية وما يجري مجراها : —

(التاريخ المصري) يعد التاريخ المصري في أحقابه المتطاولة ، وما تداول أثناءه من دول وما تخللهُ من أحداث جسام، من أجمل التواريخ قديماً وحديثاً بالمواقع الحاسمة والمواقف الرائعة .

حضرة صاحب السعادة الاستاذ محمد الشناوي بك
وكيل وزارة المعارف

فهو يحدث عن وقائع حربية براً وبحراً وعما كان فيها من هجوم ودفاع ، وحصار واستيلاء على الحصون والقلاع واشتباك بين العمائر البحرية وعما كان من توديع لجيش المسافر واستقباله في عودته استقبال انتظار ، وعما يصحب ذلك من معارض الاسلاب ومواكب الاسرى ، وكذلك مداولات القواد والتقاء أمراء العسكرين واجتماعات التحكيم والمصالحة وما اليها . ولا جرم ان مثل هذه الصور تحتاج الى دراسات تاريخية عميقة للعصر وأزيائه ونوع ادواته وأساليبه المناشية وملامح الوجوه وسماتها وعلى الاخص في الصور التي تلتقي فيها أجناس عدة بالمصريين كالحثيين والاحباش والنوبيين والاشوريين والاغريق والفرس في التاريخ القديم ، وكالعرب والصليبيين من مختلف الممالك في القرون الوسطى ، وكالاتراك والمماليك في العصور الحديثة . على أن هذا الجهد الذي يتكلفهُ الفنان يسفر عن اروع الصور والتماثيل وأوقاها بالمتعة والفائدة . ومع أن الغرض من هذه الصور تقوية الروح القومية في الامة وتمويدها الافتخار بتاريخها وتوكيد ثقتها بنفسها فليس معنى ذلك قصر آثار الفنانين على الانتصارات بل يصح تصوير الوقائع التي منيت فيها الجيوش المصرية بالهزيمة لتأليب الاعداء عليهم او لغير ذلك من الاسباب الخارجة عن ارادتهم مع ابراز ما اظهروه من معاني الاستبسال والاقدام على التضحية وبذل النفس الغالية في ميدان الشرف

﴿ الآثار التاريخية ﴾ من شأن الفن الالتفات الى الآثار التاريخية ولا يكون ذلك بنقلها نقلاً فوتوغرافيًّا بل بالاعتماد على هذه الاطلال الدوارس يعيد الفنان بخياله بناءها كما كانت في في عهد ازدهارها ويسمرها باهلها سواء أمعابد كانت ام قصوراً . ويسري هذا على الآثار الفرعونية كما يسري على الدور العربية وجميع الآثار الاسلامية

﴿ الموضوعات الدينية ﴾ في تاريخنا الديني كثيرون دعوا الى الحق وآثروه على حطام الدنيا وزخرف الحياة ، وما زالت سيرتهم العاطرة تخفف من سلطان المادة على النفوس وتلطف من كثافتها . ولهؤلاء في مصر أضرحة ومقامات وصل بناء لاستقاء السابلة كما ان فيها فضلاً عن المساجد والجوامع زوايا لعبادة الله ليس لها ضخامة تلك وثخانتها ولكن عليها سمة من القدسية تخشع لها النفس . والفنانون يجدون في سيرة هؤلاء وآثارهم معيناً طاهراً يستوحون منهُ موضوعات تشعر بعظم الحياة الروحية ومتعة الاشتغال بما فيه صلاح الناس ورضى الله

﴿ المناظر الطبيعية ﴾ بعض المواقع الطبيعية المألوفة في مصر تتعلق بها ذكريات قديمة فاذا تشبع الفنانون بهذه الذكريات وجلوها على مسرح هذا المنظر كان المنظر الطبيعي بما يضيف اليهِ من المعاني وما غمره من خيالات الماضي أملأ للعين وأوقع في النفس

﴿ الاساطير والقصص الشعبية ﴾ لدينا من هذه الاساطير والقصص الشعبية ما لا يقل عما لدى الامم الاخرى بل ربما يزيد عليها ثروةً وغنى . وفي امكان الفنانين الايحاء بما فيها من المعاني

الرمزية من غير اخلال بمذاهبها الاولية كما هو الحال في تفسير الخرافات الاغريقية مثلاً . ولا شبهة في ان أمثال هذه الموضوعات تلذ الخاصة كما تسموى العامة وليس أجدى على النهضة من اشتراك طبقات الامة جميعاً في قوة الشعور بها

﴿ المرأة ﴾ . كذلك لا يصح اهمال المرأة وهي عروس الفنون وصاحبة وحيها على ان يختار الفنانون المرأة في أوج سموها وعظمتها النفسية لا لمجرد فتنتها الجسدية . والتاريخ المصري حافل بالنساء العظيمات ممن جلسن على عرش مصر وغيرهن ممن اشتركن في الذود عن الدين وحماية ذمار الوطن وكن مثالاً للخير والفضيلة .

ومما يتبع المباريات في تنشيط الحركة الفكرية والفنية في البلاد قرار أصدره وزير المعارف بانشاء لجنة برآسة معاليه وعضوية الشيخ مصطفى عبد الرازق بك والدكتور طه حسين بك والاساتذة احمد امين وخليل مطران وعباس محمود العقاد وابرهيم عبد القادر المازني وتوفيق الحكيم « لبحث وسائل تنظيم الحركة الادبية في مصر » لانهُ قد تبين « ان الحركة الادبية في مصر وان كانت قد نشطت وأصبح بها أثر ظاهر في تثقيف الجمهور وتوجيهه الا انها لا تزال يعوزها التنظيم الذي يكفل لها اطراد التقدم وحسن التوجيه وبما انهُ قد نبتت فكرة الدعوة الى انشاء مجمع أدبي مصري يقصد به على الاخص الى تنظيم الحياة الادبية في مصر وايجاد صلة منظمة تربط الادب والادباء والجمهور التي تبذلها وزارة المعارف في تنشيط هذه الناحية وتعاون على تنمية الثروة الادبية في البلاد على غرار ما هو متبع في البلاد ذات النهضات الادبية الكبيرة »[1]

— ٣ —

هذا وقد ألقى معالي وزير المعارف خطبتين نفيستين في شؤون التربية والتعليم احداهما في اجتماع المدرسين في يوبيلهم الاحتفالات بالجامعة المصرية والثانية في اجتماع رجال التعليم الالزامي ومن بواعث الاسف ان المجال لا يتسع لنشرهما كاملتين فاخترنا مقتطفات استوقفت نظرنا بما فيها من الحكمة العالية وصدق النظر قال : —

« على ان الامر في التربية والتعليم وضرورة تأثرهما بالفكرة القومية والتضامن القومي على الاجيال لا حاجة للانتفاع به الى هذه الموازنة بين العلم والعالم[2] ، والانسانية والانسان . بل الامر

(١) أما القسم الثاني من اعمال وزارة المعارف في العهد الاخير فنصرف الى دراسة مشكلات التربية وفي مقدمتها مشكلة اللغة العربية وتسهيل تعليمها وأساليب تلقينها بحيث يخرج الطلاب وهم ملكون لناصيتها . ومشكلة المركزية واللامركزية في تنظيم الوزارة الادارية . وقد وضعت لجنة تواليها الدكتور طه حسين بك والاساتذة احمد أمين وعلي الجارم بك ومحمد ابو بكر ابراهيم وابراهيم مصطفى وعبد المجيد الشافعي تقريراً شاملاً في الاول . وأعد سعادة الاستاذ محمد الشماوي بك وكيل الوزارة مذكرة نفيسة خاصة بالثانية . وسنعالج الموضوعين في عدد تالٍ (٢) اشارة من الوزير الى القول بأن العلم لا وطن له والقول الآخر بأنه اذا لم يكن للعلم وطن فللعالم وطن وقول الوزير ان العلم له وطن كذلك وانه يتألم

فيهما أيسر من ذلك بكثير . فكنا متفقون على ان افضل وسائل التربية والتعليم بالنسبة للناشئة ما كان المثل الحي امامه وما وقع عليه الحس او استطاع ان يتصل به . فما استطاع المتعلم ان يلمسه بيده ويراه بعينه ويسمعه بأذنه هو الذي يمثل الحقيقة في ذهنه ، وهو الذي يترك الأثر الباقي في نفسه . الناشيء الذي يرى الجبل ترسم صورته في ذهنه ولا يسهل ان يغيب تعريفه الجغرافي عن ذاكرته . والناشيء الذي يرى صورة موقعة حربية منقوشة على لوحة من اللوحات او ممثلة امامه في السينما يبقى ذاكراً لما رأى من ذلك اضعاف ما يذكره من حفظ عن ظهر قلب ماجرى في هذه الواقعة مما مثلته الصورة او استظهرته الشاشة البيضاء . واذا كانت قواعد العلم الحديث تستلهم سنن الكون من المشاهدة والملاحظة ، ثم من المقارنة والتبويب ، ثم من استقراء ذلك وترتيب النتائج عليه ، كذلك يفعل الناشيء ، وكذلك يجب ان يعوده المعلم ان يفعل ، فيما يقع عليه حسه من المرئيات والمسموعات وغيرها من سائر المحسوسات »

* * *

« التعليم الذي يعتمد على البيئة القومية له — فضلاً عما سبق — أثر في الحياة لا سبيل الى درك من طريق آخر . لقد قدمت ان عمل الاجيال يجب ان يفضل متضامناً لزيادة الثروة القومية ، معنوية كانت هذه الثروة أم مادية ، ولا يمكن ان تزيد هذه الثروة الا اذا عرف الابناء ما عمل الآباء في أمرها . فاذا لم نقف على تاريخ صناعتنا وفننا وأدبنا وعلمنا وكل مظهر من مظاهر حياتنا وجعلنا همنا الى استعارة معارفنا من غيرنا ، كان ما يتركه كل جيل مختلفاً عما يتركه الجيل الذي سبقه ، غير قابل للالتئام معه الا بمجهود يحتاج الى زمن والى رجوع الى المقومات القومية التي تساعد على النجاح فيه . فاما اتصال التعليم بالحياة القومية على الاجيال فيعفيها من هذا المجهود الذي يذهب الكثير منه سدى ، ولا يؤول الى النتيجة التي نرجوها من اتصال المزيد في ثروتنا »

* * *

« وأقف قليلاً لاقول ان الحرية التي يفهمها المذهب ليست الفوضى ، وانما هي النظام . فالحرية القائمة على أساس من التربية العقلية السليمة تجعلنا نزيد خطواتنا للسير في السبيل المستقيم الذي يبلغ بنا الى الغاية التي نبتغيها

« الرجل الذي يقدر الحرية على انها النظام ، ويقدر ذلك عن علم ، يؤمن بأن واجبه الاول ان يحترم حرية غيره ، وان يؤدي بذلك للغير واجبه ، وان يتعاون مع الغير مقابل تعاون الغير معه ، وان يقوم بواجباته لذلك طائعاً مختاراً مؤمناً بأن في ذلك الخير له ولاشاله جميعاً ، مطالباً اياهم بأن يؤدوا واجبهم كما يؤدي هو واجبه »

« وحسبكم تقدروا جلال هذه المهنة ان تذكروا ان المعلم الالزامي يحل من الاطفال الذين يعهد اليه بتربيتهم محل الاب والام ، وان عليه في هذا الدور من أدوار حياتنا القومية واجبات نحو هؤلاء الابناء اكبر من واجبات آبائهم وأمهاتهم . فهو يتولى أمر هؤلاء الاطفال من اطفال اليوم ورجال الغد ، وهم لا يزالون في السابعة من عمرهم . ويتولى أمرهم وقليل منهم من عني أهله بتربيته في السنوات السبع الاولى من حياته ، لان هؤلاء الاهلين جهلاء ، ولانهم فوق ذلك مأخوذون عن تربية ابنائهم بالسعي للحياة والكدح فيها . فواجب على هذا المعلم ان يتم النقص في الطفل وان يقوم على تربيته وتهذيبه ليكون من بعد مصريًّا فاضلاً نافعاً في حياته الجماعة وان بعده ليكون في مستقبل أيامه شابًّا صالحاً وأباً يعنى من شئون ابنائه بما لا يعني الآباء اليوم به من شئون ابنائهم ، لانهم لم يجدوا المعلم الذي يوجههم في الحياة التوجيه الصالح ومن يؤدبهم فيحسن تأديبهم »

* * *

« وكما ان محبة المعلم لتلميذه تحرك في نفس التلميذ محبة أستاذه ، فهي بذلك اسوة حسنة ، كذلك الاسوة هي المحرك الاول للفضائل في نفس الناشيء ، وعلى محورها تقوم التربية الصالحة . والمعلم الذي يحسب ان التربية الخلقية او النفسية تقوم على التعاليم او على النصيحة التي يقرأها الاطفال او يحفظونها عن ظهر قلب دون ان يروا مثلها واضحة امام أعينهم معلم غير ناجح بل معلم مفسد للناشئة ، مفسد لزملائه اذا لم يكونوا أقوى منهُ نفساً وأكثر بقواعد التربية الصحيحة إلماماً »

« إخواني : انكم تعلمون ما لكم من أثر في البيئة التي تكونون فيها . وأنتم اليوم اعظم أثراً لانكم أنتم زعماء البيئات القارئون الكاتبون الذين ينظر اليهم الناس على انهم أولو العلم والفضل ، ومصدر الطمأنينة وحسن التقدير . فقد رأوا فيكم المثل الحقي الكريم ، ورأوا فيكم الاحتفاظ بالكرامة ، والاستقلال بالرأي ، والحرص على الخير العام كنتم لهم الائمة الصالحين ، وكنتم بذلك قد مهدتم لبلادكم طريق الرفعة والرقي السريع »

« ياحضرات المعلمين : اذا قامت التربية على أساس من عاطفة المحبة ومن الاسوة الحسنة اتجه الجميع الى مرتقى الادهم راضين مغتبطين لذلك بما طفة من الحب يزيدها ويجددها في هذا الوطن من أسباب الخير والنعمة ، وما يجدونهُ في تاريخهِ من دواعي الفخر والمجد . وحسبكم انتم رجال التعليم الالزامي ان تعلموا ان كل قلم ينطوي عليهِ من خير أقامه الله عليهِ ، وما كان لهُ على التاريخ من أثر في العصور الخالية ، وان تعلموهم ذلك بقصة سهلة يفهمونها ويحبون لذلك من أجلها نفسهم ، لتكونوا قد بلغتموهم رسالة المعلم الالزامي بعد ان تكونوا قد قمتم بدوركم الجليل في تربيتهم وتعليمهم »